موقفُ القرآنِ الكريمِ من عقيدةِ التناسخ وبطلانِها في ضوءِ كتبِ التفسير

أ.م.د. محمد عيدان محمد
وزارة التربية / المديرية العامة لتربية محافظة ذي قار

The position of the Holy Qur'an on the doctrine of reincarnation and its invalidity in light of the books of interpretation

Asst.Prof.Dr. Muhammad Idan Muhammad
Ministry of Education / General Directorate of Education of Dhi Qar Governorate
Email: mmh2844@gmail.com

ملخص البحث

التناسخ من العقائد المهمة التي ناقشها علماء الكلام ، والمفسرون ، ولابد لنا أن نفرق بين التناسخ ، والحلول والرجعة فالتناسخ كعقيدة : هو رجوع الإنسان بعد موته إلى الحياة الدنيويّة عن طريق النطفة، والمرور بمراحل التكوّن البشري من جديد ليصير إنسانًا مرّة أخرى ، أو هو انتقال الروح من بدن إلى بدن آخر منفصل عن الأول.

ثمّ إنّ القائلين بالتناسخ هم أهل الغلو، حيث ينكرون القيامة والآخرة ، ويقولون ليس هناك قيامة ولا آخرة، وإنّما هي أرواح في الصور، فمن كان محسنًا جوزي بأن ينقل روحه إلى جسد لا يلحقه فيه ضرر ولا ألم، ومن كان مسيئًا جوزي بأن ينقل روحه إلى أجساد يلحق الروح في كونه فيها الضرر والألم ، وليس غير ذلك

واتّفقت كلمة الامامية والجمهور على بطلان التناسخ وامتناعه ؛ لأنّ في التناسخ إبطال الجنّة والنار ، وتكمن فائدة البحث في ابراز اراء علماء الكلام والمفسرين، وقد تضمن البحث خمسة مباحث على النحو الاتي:

المبحث الاول: مفهوم التناسخ لغة واصطلاحا .

المبحث الثاني: نشأة فكرة التناسخ بين المتكلمين والمفسرين .

المبحث الثالث: عقيدة التناسخ بين المتكلمين والمفسرين .

المبحث الرابع :موقف القرآن الكريم من بطلان عقيدة التناسخ في ضوء كتب التفسير.

المبحث الخامس: الفرق بين التناسخ والرجعة في ضوء كتب التفسير .

Abstract

Reincarnation is one of the important topics emphasized by theologians and commentators، and we must differentiate between reincarnation، solution، and return. Reincarnation is the return of a person after his death to earthly life through sperm and going through the stages of human formation again to become a human again، or it is the transfer of the soul from one body to another body. Separate from the first. Then those who believe in reincarnation are people of exaggeration، as they deny the resurrection and the afterlife، and they say that there is neither a resurrection nor an afterlife، but rather they are souls in forms. So whoever is benevolent may be permitted to transfer his soul to a body in which no harm or pain will befall him، and whoever is abusive may be permitted to transfer his soul to bodies. Being in it causes harm and pain to the soul، and nothing else The Imami and the majority agreed on the invalidity and abstention of reincarnation، because in reincarnation the paradise and hell are nullified. The importance of the research lies in highlighting the opinions of theologians and commentators. The research included five sections as follows: The first topic: the concept of reincarnation linguistically and terminologically. The second topic: The emergence of the idea of reincarnation among the speakers and interpreters The third topic: The doctrine of reincarnation among theologians and interpreters The fourth topic: The position of the Holy Qur'an on the invalidity of the doctrine of reincarnation in light of the books of interpretation Section Five: The difference between reincarnation and return in light of the books of interpretation.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد النبيين، وعلى آله الهداة المهديّين، وصحبه الأخيار، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

التناسخ من المباحث المهمة التي اكد عليها علماء الكلام والمفسرين، ولابد لنا أن نفرق بين التناسخ ، والحلول، والرجعة، فالتناسخ : هو رجوع الإنسان بعد موته إلى الحياة الدنيويّة عن طريق النطفة ، والمرور بمراحل التكوّن البشري من جديد ليصير إنسانًا مرّة أخرى، أو هو انتقال الروح من بدن إلى بدن آخر منفصل عن الأول.

أمّا الحلول: فهو بمعنى أنّ الله تبارك وتعالى يحل في أبدان العارفين أو يتحدّ بها ، والحلول والاتحاد من مصطلحات المذهب الصوفيّ؛ لأنّه يستلزم على تقدير وقوعه اجتماع القدم ، والحدوث والوجوب والإمكان في أبدان العارفين ، وغير ذلك من اللوازم الفظيعة، تطلق كلمة (الحلوليون) على القائلين : بأنّ الله حلّ في الأجسام ، أو حلّ في جسم معين ، ولهذا سموا بهذا الاسم، وأمّا الحلول: فهو يعني قيام موجود بموجود أخر على سيل التبعية، وبشرط امتناع قيامه بذاته.

وهذه الفكرة في واقعها هي امتداد لفكرة (الفناء) الصوفية ، فقد قال بعض الصوفية بجواز حلول الله تعالى في قلوب العارفين،

وقد استدل المتكلمون على بطلان الحلول بأنّه مستحيل على الواجب تعالى ؛ لأنّ الحال في الشيء يحتاج إليه فيلزم إمكانه، وإلا امتنع حلوله .. قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: (حدّ الأشياء كلها عند خلقه إياها، إبانة لها من شبهه، وإبانة له من شبهها ، فلم يحلل فيها، فيقال: هو فيها كائن)[1]، وقد اتّفقت الامامية على بطلان التناسخ والحلول وامتناعه ؛ لأنّ في التناسخ إبطال الجنّة والنار.

(١) خلاصة علم الكلام ، الدكتور عبد الهادي الفضلي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ، ١٤٠٨هـ .٣٢٠.

المبحث الاول : مفهوم التناسخ لغة واصطلاحا:

التناسخ لغة: من (النسخ) بمعنى النقل[١]، أو بمعنى إزالة بشيء يتعقبه، كنسخ الشمس الظل، ويُعبّر عنه أيضًا بالتحوّل والتتابع[٢]، وتناسخ الأرواح: انتقال الأرواح بعد مفارقتها الأبدان إلى أبدان أُخرى[٣] .

في الاصطلاح هو انتقال النفس من بدنها الذي كانت فيه إلى بدن آخر من نوع البدن الذي كانت فيه ومن غير نوعه، وهكذا تبقى تنتقل من بدن إلى آخر وتترد في الأجسام مادام الدهر، كلما انتهى دور البدن تنتقل إلى دور آخر، سواء كان هذا البدن حيواني ، أو نباتي ، أو إنساني[٤] .

وقد سأل المأمون الإمام الرضا ﷺ: ما تقول في القائلين بالتناسخ ؟ فقال ﷺ:(من قال بالتناسخ فهو كافر مكذّب بالجنة)[٥]

وذكر صاحب تفسير الميزان التناسخ فقال : وهو أن تتعلق نفس الانسان بعد مفارقتها البدن بالموت ببدن واحد من الحيوان يناسبها في الخلق الرذيل الذي رسخ فيها ، كأن تتعلق نفس المكّار ببدن ثعلب ، ونفس المفسد الحقود ببدن الذئب، ونفس من يتبع سقطات الناس ولا تزال تنتقل من بدن وتعذيب بذلك هذا إن كانت شقية ذات أخلاق رذيلة ، وإن كانت سعيدة تعلقت الموت ببدن سعيد منعم بسعادته من أفاضل أفراد الانسان.[٦]

فالتناسخية بالمعنى الأعمّ الشامل للفسخ بالمعنى الأخص والمسخ والرسخ، فإنّ القول

(١) ينظر، لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، ، المحقق والمصحح، أحمد فارس صاحب الجوائب، بيروت، دار صادر، ط ٣، ١٤١٤ هـ .
(٢) ينظر، المصدر السابق، ١٤ / ١٢١.
(٣) مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي، ، قم، مؤسسة البعثة، ط ١، ١٤١٤ هـ. ٢ / ٧٤٥.
(٤) ينظر، الإسلام والتناسخ ، حسين يوسف مكي، العاملي ، تحقيق، محمد كاظم مكي، بيروت، دار الزهراء، ط ١، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١، ٧١.
(٥) بحار الأنوار، ٤/ ٣٢٠
(٦) تفسير الميزان ، السيد محمد حسين الطباطبائي،(ت،١٤٠٢هـ) ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، ٧ / ٨٣.

بكلّ منها إنكار لضرورة الدين ، مع أنّها على بعض الوجوه موجب لإنكار المعاد وحشر الأجساد .[١]

ثمّ إنّ القائلين بالتناسخ هم أهل الغلو، حيث ينكرون القيامة والآخرة، ويقولون ليس قيامة ولا آخرة، وإنّما هي أرواح في الصور، فمن كان محسنًا جوزي بأن تنقل روحه إلى جسد لا يلحقه فيه ضرر ولا ألم، ومن كان مسيئًا جوزي بأن تنقل روحه إلى أجساد يلحق الروح في كونه فيها الضرر والألم، وليس غير ذلك.[٢]

وخلاصة القول :التناسخ يعني: انتقال النفس من بدن إلى بدن آخر في هذه النشأة ، بلا توقف أبدا .

المبحث الثاني: نشأة فكرة التناسخ بين المتكلمين والمفسرين :

فكرت بعض الشعوب القديمة في مسألة التناسخ ، وعالجها عدد من الفلاسفة والمفكرين، سواء كان من الوثنيين قبل الإسلام أو في عصر الإسلام.

اولا: التناسخ عند الوثنيين :

ظهرت مسألة التناسخ في تاريخ الشعوب منذ فجر التاريخ، فقد كان المصريون القدماء أول من اعتقد بها، وتابعهم في ذلك الكنعانيون والفينيقيون منذ القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ، وكان الاعتقاد بالتناسخ حجر الزاوية في الديانة الهندوسية ، أو البراهمية (نسبة إلى الإله براهما) ، فمن لا يعتقد به يُعدّ خارجًا عن هذه الديانة.[٣]

ويتلخص الاعتقاد بهذه الفكرة بالقول إنّ نفس الإنسان تنتقل من حياة إلى حياة أُخرى أحسن، أو أسوأ بحسب مؤهلات الفرد وأعماله، وتابعت وجودها مع الديانة البوذية التي تأسست في القرن الخامس قبل الميلاد في بلاد الهند، حيث كان الاعتقاد بالتناسخ يقوم

(١) ينظر، تفسير الصراط المستقيم، السيد حسين البروجردي، تح ، الشيخ غلام رضا بن علي أكبر مولانا، مؤسسة أنصاريان، قم، ١٤١٦ – ١٩٩٥ م. ٤ / ٢١٤

(٢) ينظر مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، ١/ ١١٤

(٣) ينظر:الإسلام والتناسخ ، العاملي ، ٣٧ – ٣٩.

على انتقال النفس من جسد إلى جسد آخر أرضي كي تطهر هذه النفس، وتصل إلى درجة النيرفانا (Nirvana) أي الذوبان في الروح الكلية [١] .

ومن الأصول الأولية التي تبتنى عليها البراهمية ومثلها البوذية ، والصابئية هو أنّ العالم محكوم بالكون والفساد دائما فهذا العالم المشهود لنا ، وكذا ما فيه من الاجزاء مكون عن عالم مثله سابق عليه وهكذا إلى غير النهاية ، وسيفسد هذا العالم كما لا يزال يفسد أجزاؤه ويتكون منه عالم آخر وهكذا إلى غير النهاية[٢] .

الانسان يعيش في كل من هذه العوالم على ما اكتسبه في عالم يسبقه فمن عمل صالحا واكتسب ملكة حسنة ، فستتعلق نفسه بعد مفارقة البدن بالموت ببدن سعيد ويعيش على السعادة ، وهو ثوابه ، ومن أخلد إلى الأرض واتبع هواه فسوف يعيش بعد الموت في بدن شقى ويقاسي فيه أنواع العذاب

إلّا من عرف البراهما واتحد به فإنّه ينجو من الولادة الثانية ، ويعود ذاتا أزلية أبدية هي عين البهاء والسرور والحياة والقدرة والعلم لا سبيل للفناء والبطلان إليها [٣] .

ولذلك كان من الواجب الديني على الانسان أن يؤمن بالبراهما (وهو الله أصل كل شئ) ويتقرب إليه بالقرابين والعبادات، ويتحلى بالأخلاق الكريمة، والأعمال الصالحة فإن عزفت نفسه الدنيا ، وتخلق بكرائم الأخلاق، وتحلى بصالح الأعمال وعرف البراهما بمعرفة نفسه صار برهمنا واتحد بالبراهما وصار هو هو، وهو السعادة الكبرى والحياة البحتة، وإلا فليؤمن بالبراهما وليعمل صالحا حتى يسعد في حياته التالية وهى آخرته . [٤]

لكن (براهما) لما كان ذاتا مطلقة محيطا بكل شئ غير محاط بشئ كان أعلى وأجل من أن يعرفه الانسان إلا بنوع من نفى النقائص ، أو يناله بعبادة أو قربان فمن الواجب علينا

(١) ينظر: الإسلام والتناسخ، ٣٧ – ٣٩.
(٢) ينظر : تفسير الميزان ، السيد محمد حسين الطباطبائي، (ت،١٤٠٢هـ) ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة .١٠ / ٢٩٥ –٢٩٦
(٣) ينظر: تفسير الميزان ، ١٠ / ٢٩٥ –٢٩٦
(٤) ينظر : المصدر السابق .١٠ ، ٢٩٥ –٢٩٦

أن نتقرب بالعبادة إلى أوليائه وأقوياء خلقه حتى يكونوا شفعاء لنا عنده ، وهؤلاء هم الالهة الذين يعبدون من دون الله بعبادة أصنامهم، وهم على كثرتهم إمّا من الملائكة ، أو من الجن، أو من أرواح المكملين من البراهمة، وإنّما يعبد الجن خوفا من شرهم ، وغيرهم طمعا في رحمتهم وخوفا من سخطهم ومنهم الأزواج والبنون والبنات لله تعالى ، فهذه جمل ما تتضمنه البرهمية ويعلمه علماء المذهب من البراهمة[١] .

أمّا فلاسفة اليونان فقد عرضوا فكرة التناسخ منذ القرن السادس قبل الميلاد، فقال بها فيثاغورس، حيث اعتقد هو وتلاميذه بانتقال الروح إلى الإنسان والحيوان والنبات، أي تناسخ الأرواح، إلّا أّن النظرية التناسخية في الفلسفة اليونانية تبلورت في المرحلة الأفلاطونية، حيث قال أفلاطون بأنّ الأحياء يُبعثون من الأموات، وأنّ النفس التي تولد هي آتية من عالم آخر كانت قد ذهبت إليه إثر موت سابق، وهكذا فالنفس لا تموت بموت الجسد.[٢]

ثانيا: في الإسلام

لقد ظهرت بعض الفرق المنتسبة للإسلام، فتبنت نظرية تناسخ الأرواح ، ومن أبرز هذه الفرق هي:

اولا: الغلاة: نُسب الاعتقاد بالحلول والتناسخ إلى بعض فرق الكيسانية الذين يعتقدون أنّ روح الله حلّت في النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وروح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حلّت في علي عليه السلام، وروح الإمام علي حلّت في الحسن عليه السلام، وروح الحسن حلّت في الحسين عليه السلام ، وروح الحسين حلّت في محمد بن الحنفية، وكذلك الخطابية، أصحاب أبو الخطاب، والجناحية، والبيانية، أصحاب بيان بن كنعان الهندي ، وهذا مرفوض عند عامة المسلمين.[٣]

(١) ينظر : تفسير الميزان، ١٠ / ٢٩٥ -٢٩٦.
(٢) ينظر، الإسلام والتناسخ ، العاملي ، ٤٠.
(٣) ينظر، طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها، سُليمان الحلبي، الكويت، الدار السلفية، ط ٢، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ ، ٨٥ ٨٦.

ثانيا: بعض المعتزلة: يوجد هناك من المعتزلة من قال بالتناسخ منهم: الخابطية: أصحاب أحمد بن خابط، والحدثية: أصحاب الفضل الحدثي، كانا من أصحاب النظام،[١] وأحمد بن أيوب بن بانوش، والفرقة الحمارية أخذوا من أحمد بن خابط، وأبن أبي العوجاء.[٢]

ثالثا: الدروز: يعتقد الدروز، بالتقمص حيث تنتقل روح الإنسان بعد موته إلى شخص آخر جديد، ومن هنا ينطلق الدروز في الإيمان بأنّ الجسد هو الذي يموت بينما النفس تبقى خالدة ، والتقمص في نظر الموحدين، هو انتقال النفس بعد الموت مباشرة من جسد إنسان إلى جسد إنسان آخر ، والجسد هو قميص الروح ، وهذا القميص هو الذي يتغير عند الوفاة منتقلًا إلى جسد إنسان آخر [٣] .

والتناسخية التي تقول بانتقال الروح من جسد الإنسان إلى شيء آخر ، وهم أربعة فرق : فمنهم من يقول بانتقال الروح إلى جسد آخر ، والى الجنين في رحم الأم وهو عبارة عن التناسخ ، ومنهم من يقول بانتقاله إلى بدن حيوان ، وهو عبارة عن التماسخ ، ومنهم من يذهب إلى انتقاله إلى النباتات ويسمّى بالتفاسخ ، ومنهم من يرى انتقاله إلى الجمادات ويسمّى بالتراسخ [٤].

وذكر صاحب تفسير الميزان الاسلام الحقيقي إنّه أصلح هذه المفاسد، إذ قلب هذه المعارف العالية في قالب البيان الساذج الذي يصلح لهضم الافهام الساذجة والعقول العادية، فصارت تلامسها من وراء حجاب وتتناولها ملفوفة محفوفة، وهذا هو الذي يصلح به حال العامة ، وأما الخاصة فإنّهم ينالونها مسفرة مكشوفة في جمالها الرائع ، وحسنها

(١) ينظر، الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني .تحقيق، عبد العزيز محمد الوكيل، القاهرة مصر، مؤسسة الحلبي وشركاه، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٨ م. ١ / ٦٠ ٦٢.

(٢) الفرق بين الفرق ، القاهر بن ظاهر بن محمد ، البغدادي، القاهرة مصر، مطبعة المدني، د.ت ، ٢٧٣ ٢٧٨.

(٣) ينظر: خطط الشام ،علي، محمد كردي، ، دمشق سورية، مكتبة النور، ط ٢، د.ت ، ٦ / ٢٦٥.

(٤) ينظر : القصاص على ضوء القرآن والسنة، تقرير بحث السيد المرعشي لعادل العلوي،مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة – قم المقدسة،١٤١٥ ،١ / ٢٦٢

البديع آمنين مطمئنين وهم في زمرة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا[1]

المبحث الثالث

عقيدة التناسخ بين المتكلمين والمفسرين :

وقد ذكرنا مذاهب التناسخية وما من ملّة من الملل إلا وللتناسخ فيها قدم راسخ ، وإنّما تختلف طرقهم في تقرير ذلك ، ويذكر علماء الكلام والمفسرون بعض معتقداتهم وهي على النحو الاتي :

أولا: تناسخية الهند هي أشد اعتقادا لذلك لما عاينوا من طير يظهر في وقت معلوم فيقع على شجرة معلومة فيبيض ويفرخ ، ثم إذا تم نوعه بفراخه حك بمنقاره ومخالبه فتبرق منه نار تلتهب فيحترق الطير ويسيل منه دهن يجتمع في أصل الشجرة في مغارة ثم إذا حال الحول وحان وقت ظهوره انخلق من هذا الدهن مثله طير فيطير ويقع على الشجرة ، وهو أبدا كذلك قالوا فما مثل الدنيا وأهلها في الأدوار والأكوار إلّا كذلك [2]

ثانيا: قالوا تناسخية الهند أيضًا إذا كانت حركات الأفلاك دورية فلا محالة يصل رأس الفرجار إلى ما بدأ ، ودار دورة ثانية على الخط الأول أفاد لا محالة ما أفاد الدور الأول ، إذ لا اختلاف بين الدورين حتى يتصور اختلاف بين الأثرين فإنّ المؤثرات عادت كما بدأت والنجوم والأفلاك دارت على المركز الأول ، وما اختلفت أبعادها واتصالاتها ومناظراتها ومناسباتها بوجه فيجب أن لا تختلف المتأثرات الباديات منها بوجه ، وهذا هو تناسخ الأدوار والأكوار ولهم اختلافات في الدورة الكبرى كم هي من السنين ، وأكثرهم على أنّها ثلاثون ألف سنة ، وبعضهم على أنّها ثلاثمائة ألف سنة وستين ألف سنة ، وإنّما يعتبرون في تلك الأدوار سير الثوابت لا السيارات ، وعند الهند أكثرهم أنّ الفلك مركب من الماء

(١) تفسير الميزان ، السيد محمد حسين الطباطبائي،.١٠ / ٢٩٥ -٢٩٦

(٢) ينظر: الملل والنحل، للشهرستاني ،(ت، ٥٤٨هـ) ، تحقيق ، محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – بيروت – لبنان. ج٢ / ٢٥٥.

والنار والريح ، وأنّ الكواكب فيه نارية هوائية فلم تعدم الموجودات العلوية إلّا العنصر الأرضي فحسب [١] .

ثالثا: الرجوع إلى موضع مسبوق بالكون فيه ، وهذا الاستنباط غلط ؛ لأنّ المراد من الرجوع ، الرجوع والمردّ إلى حكمته سبحانه ومحاسبته ومجازاته ، وليس المعنى أنّهم كانوا قبل دخولهم في هذا العالم ثمّ رجعوا إليه ومن المعلوم ضرورة أنّهم كانوا مسبوقين بالعدم ، ثمّ وُجدوا فمن أين ثبت أنّهم كانوا ثمّ رجعوا ؟ كما أنّ المجسّمة قالوا بأنّا أجسام فرجوعنا إلى اللّه يقتضى كون اللّه جسما وهذا غلط أفحش من الأوّل ؛ لأنّ الجسم محتاج إلى حيّز وتركيب واحتياج ، وكلّه منزّه عنه تعالى اللهَّ عن التجسّم والتركيب والاحتياج [٢] .

رابعا : إنّ المعاد عند التناسخية إنّما هو خروج النفس عن بدنها ، ثم دخولها في بدن آخر لتجد في الثاني جزاء الأعمال التي عملتها في الأول . [٣]

فعقيدة التناسخ التي كان يعتقد بها جمع من الوثنيين ،إذ كانوا يقولون : إننا نموت دائما ثم نحيا في أبدان أخرى في هذا العالم [٤].

والإمامية براء من هذه الفرق الضالة والمضلّة ، فلو قتل مسلم واحدا من هؤلاء الكفّار، فهل يلاحظ كفرهم فلا يقاد المسلم بهم أو يلاحظ إظهار الإسلام ، وقولهم الشهادتين فيقال بالقصاص ؟[٥]

أصل عقيدة التناسخ نشأ من قوم من الصائبة سموا الحرانية (نسبة إلى حرّان) وسرت في غيرهم حتى الأمة الإسلامية وخلاصة القول في هذه العقيدة إبطال القيامة وإنكار الدار

(١) ينظر : الملل والنحل، ٢ / ٢٥٥.
(٢) ينظر : مقتنيات الدرر ، تح، الشيخ محمد الآخوندي، دار الكتب الإسلامية، ايران، ٧ / ١٥٨.
(٣) ينظر: تفسير الميزان ، السيد محمد حسين الطباطبائي، .٨ / ٣١١
(٤) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، د.ط، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧، ١/ ٢١٩
(٥) ينظر: القصاص على ضوء القرآن والسنة ، تقرير بحث السيد المرعشي لعادل العلوي،مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة – قم المقدسة،١٤١٥ ،١ / ٢٦٢

الآخرة [١]

وبحسب المعتقدات الدرزيَّة يحدث التقمص فورًا عند وفاة المرء نظرًا لوجود ازدواجية أبدية في الجسد والروح ومن المستحيل أن توجد الروح بدون الجسد، وبحسب المعتقدات الدرزية لن تنتقل الروح البشرية إلّا إلى جسم بشري، وذلك خلافًا للمعتقدات الهندوسية والبوذية، والتي بموجبها يمكن أن تنتقل النفوس إلى أي كائن حي ، فضلًا عن ذلك، يمكن حدوث التقمص للدرزي الذكر فقط كدرزي ذكر ، وللدرزية الأنثى كدرزية أنثى، ويؤمن الدروز أنّه لا يُمكن حدوث التقمص في جسد غير درزي، وفضلًا عن ذلك ، لا يمكن تقسيم النفوس وعدد النفوس الموجودة في الكون محدودة [٢] .

ودورة الولادة جديدة مستمرة ، والسبيل الوحيد للهروب هو التناسخ ، أو التقمص المتتالي، وعندما يحدث هذا تتحد الروح مع العقل الكوني ، وتحقق السعادة القصوى [٣] .

اليوم الآخر في المذهب الدرزي ليس يوم القيامة ؛ لأنّهم لا يؤمنون به ، ولا بالبعث وينكرون موت الأرواح وقيامها ويعتبرون يوم الحساب هو نهاية مراحل الأرواح وتطورها ، إذ يبلغ التوحيد غايته ، وفي هذا يقول عبد الله النجار: " يوم الحساب عند الدروز ليس يوم القيامة، إذ ليس فيه موت للأرواح ولا قيامة لها ولا بعث، فالأرواح لا تموت لتبعث ولا تنام لتوقظ ، بل إنّ يوم الحساب أو الدينونة نهاية مراحل الأرواح وتطورها، إذ يبلغ التوحيد غايته في الانتصار على العقائد الشركية ، وينتهي الانتقال والمرور في الأقمصة المادية لتصل الأرواح الصالحة بالعقل الكلي[٤].

(١) ينظر: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد (ت، ٧٢٦هـ) ،جمال الدين الحسن بن يوسف ابن علي بن المطهر المشتهر بالعلامة الحلي، تحقيق ، آية الله حسن زاده الآملي ، مؤسسة نشر الإسلامي – قم ، ٣٥٦
(٢) ينظر : مذاهب الدروز والتوحيد ، ٦٢ .
(٣) ينظر : مذاهب الدروز والتوحيد ، ٦٢ .
(٤) ينظر : المصدر السابق ، ٨١.

المبحث الرابع

موقف القرآن الكريم من بطلان عقيدة التناسخ في ضوء كتب التفسير :

أشار القرآن الكريم إلى بطلان التناسخ عبر، قوله تعالى: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ [سورة غافر:١١] .

ذكر المفسرون على بطلان التناسخ بلزوم أن يكون للبدن نفسان وأن يكون عدد الهالكين مساويًا لعدد الكائنين ، والطوفات العامة تأبى هذا التساوي ، على أنّه يمكن أن يجاب بالفرق بين التناسخ وبين ما نحن فيه ، وذلك أنا إذا كنا في أبدان أخرى وبقينا فيها سنين امتنع في مجرى العادة نسيان أحوالها [١] .

وبعضهم أجاب بأن النسيان وعدم التذكر هنا لبعد الزمان [٢]، واعترض بأنّ أهل الآخرة يعرفون كثيرًا من أحوال الدينا كما نطقت بذلك الآيات والأخبار اللهم إلا أن يقال: إنّ ذلك خصوصية الدار[٣] .

وقالوا ثانيًا : إنّ تلك الذرية المأخوذة من ظهر آدم عليه السلام لا بد أن يكون لكل واحد منها قدر من البنية حتى يحصل فيه العلم والفهم ، فمجموعها لا تحويه عرصة الدنيا فيمتنع حصوله في ظهر آدم ليؤخذ ثم يرد ، وأجيب بأنّه مبني على كون الحياة[٤]

وإنّ هذه الحجة مبنية على إبطال التناسخ لأنّا إذا وجدنا من النوع الواحد شخصين علمنا أنّ تلك الشخصية ليست معلولة لتلك الماهية ؛ لأنّ كل ما كان كذلك كان نوعه في شخصه، ولما لم يكن كذلك علمان أنّ شخصيته ليست من لوازم ماهيته ، فهي إذن لعلة خارجية، وقد عرفت أنّ العلة هي المادة ومادة النفس هي البدن فإذن تعيينها لا بد وأن

(١) ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (ت، ١٣٤٢هـ) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ٩/ ١٠٧ .
(٢) ينظر : المصدر السابق ٩ / ١٠٧
(٣) ينظر: المصدر السابق، ٩ / ١٠٧
(٤) ينظر : المصدر السابق ، ٩ / ١٠٧

يكون للتعلق ببدن معين فتكون لا محالة غير متعينة قبل ذلك البدن فهي معدومة قبله[١] .

وتبين لنا الآية أنّ للإنسان حياتين ومماتين لا أكثر ، وكان الإنسان ميتا يوم كان جزءا من الطبيعة غير الحية ، ثم أحياه الله يوم ولد ، ثم يميته ، ثم يعيده ، ولو كان التناسخ صحيحا لكان للإنسان أكثر من مماتين وحياتين .

والتناسخية بالمعنى الأعمّ الشامل للفسخ بالمعنى الأخص ، والمسخ ، والرسخ ، فإنّ القول بكلّ منها إنكار لضرورة الدين ، مع أنّها على بعض الوجوه موجب لإنكار المعاد وحشر الأجساد[٢].

ومثله في سببيّة الكفر إنكار المعاد ، وتأويل الآيات والأخبار فيه ربما يظهر من بعض الحكماء والفلاسفة ، وكذا إنكار شيء من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة ، ولو بطريق الاستلزام مع التصريح باللوازم ، لا مطلقا[٣] .

ففكرة التناسخ إذن مرفوضة قرآنيا ، كما أنها مرفوضة عقليا ، وهي نوع من الرجعية والانتكاس في قانون التكامل.

والجدير بالذكر أنّ هذه الآية تشير إلى الحياة بعد الموت في هذه الدنيا (إحياء الإنسان بعد تكونه من مواد طبيعية ميتة) ، ثم الموت بعد هذه الحياة الدنيوية ، ثم الحياة الأخرى ، واستمرار المسيرة التكاملية نحو الله[٤] .

ومن العجيب أنّ بعض مؤيدي فكرة " التناسخ " الخرافية يتخذون من هذه الآية دليلا على صحة فكرتهم ، ويقولون : يفهم من الآية أنّ الحيوانات أمم مثلكم ، مع أننا نعلم أنّها ذاتيا ليست مثلنا ، فيمكن إذن القول بأنّ أرواح البشر التي تفارق أبدانها تحل في أبدان الحيوانات، وبهذا الشكل تنال الأرواح المذنبة العقاب ، ولكن على الرغم من أنّ فكرة

(١) ينظر : روح المعاني، ١٤ / ٤٣.
(٢) ينظر : تفسير الصراط المستقيم، السيد حسين البروجردي، تح ، الشيخ غلام رضا بن علي أكبر مولانا، مؤسسة أنصاريان، قم، ١٤١٦ – ١٩٩٥ م ، ٤ / ٢١٤.
(٣) ينظر : المصدر السابق، ٤ / ٢١٤ .
(٤) تفسير الميزان ، السيد محمد حسين الطباطبائي ، ١ / ١٥٠ .

التناسخ تناقض " قانون التكامل " ولا تتفق مع منطق العقل ، وتستوجب إنكار " المعاد "[١]

فإنّ هذه الآية لا تدل على التناسخ مطلقا ، إذ إنّ المجتمعات الحيوانية – كما قلنا – تشبه المجتمعات البشرية ، وهو شبه بالفعل لا بالقوة ؛ لأنّ للحيوانات نصيبها من الفهم والإدراك ، ونصيبها من المسؤولية أيضا ، ومن ثم نصيبها من البعث والحساب ، أنّها تشبه الإنسان في هذه الحالات[٢] .

ينبغي أن نعرف أنّ التكاليف والمسؤوليات الملقاة على الحيوانات في مرحلة خاصة ، لا تعني أنّ لها إماما وقائدا وشريعة ودينا كما ذهب إليه بعض أصحاب التصوف ، فهي لا يقودها سوى إدراكها الباطني ، أي أنّها تدرك بعض الأمور ، فتكون مسؤولة عنها بقدر إدراكها لها [٣].

وبطلان هذا القول يظهر من ملاحظة الأمور التالية :

أ- إنّهم يقولون أنّ المصائب والآلام التي تبتلي بها طائفة من الناس ، هي في الحقيقة جزاء لما صنعوا في حياتهم السابقة من الذنوب عندما كانت أرواحهم متعلقة بأبدان أخرى، كما أنّ النعم واللذائذ التي تتلذذ بها جماعة أخرى من الناس هي أيضًا جزاء أعمالهم الحسنة في حياتهم المتقدمة ، وعلى هذا فكل يستحق لما هو حاصل له ، فلا ينبغي الاعتراض على المستكبرين والمترفين كما لا ينبغي القيام بالانتصاف من المظلومين والمستضعفين ، وبذلك تنهدم الأخلاق من أساسها ، ولا يبقى للفضائل الإنسانية محال ، وهذه العقيدة خير وسيلة للمفسدين والطغاة لتبرير أعمالهم الشنيعة[٤] .

ب- إنّ هذه العقيدة معارضة للقول بالمعاد الذي أقيم البرهان العقلي على وجوبه، ومن الواضح أنّ الذي ينافي البرهان الصحيح فهو باطل ، فالقول بالتناسخ باطل .

ج- إنّ لازم القول بالتناسخ هو اجتماع نفسين في بدن واحد وهو باطل.

(١) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي ، ٤/ ٢٧٨ .
(٢) ينظر: المصدر نفسه ، ٤/ ٢٧٨ .
(٣) ينظر: المصدر نفسه ،١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م ، ٤/ ٢٧٨ .
(٤) ينظر: محاضرات في الإلهيات، للشيخ السبحاني ،٤٢٣ .

بيان الملازمة: إنّه متى حصل في البدن مزاج صالح لقبول تعلق النفس المدبرة له ، فبالضرورة تفاض عليه من الواهب من غير مهلة وتراخ، قضاء للحكمة الإلهية التي شاءت إبلاغ كل ممكن إلى كماله الخاص به ، فإذا تعلقت النفس المستنسخة به أيضا كما هو مقتض القول بالتناسخ ، لزم اجتماع نفسين في بدن واحد [١] .

وأمّا بطلان اللازم: فلأنّ تشخص كل فرد من الأنواع بنفسه وصورته النوعية ، ففرض نفسين في بدن واحد مساوق لغرض ذاتين لذات واحدة وشخصين في شخص واحد، وهو محال ، على أنّ ذلك مخالف لما يجده كل إنسان في صميم وجوده وباطن ضميره[٢] .

وخلاصة القول: كما ذكرته روايات أهل البيت فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إنّ أصحاب التناسخ قد خلفوا وراءهم منهاج الدين، وزينوا لأنفسهم الضلالات) [٣]

وعن الإمام الرضا عليه السلام قال: (من قال بالتناسخ فهو كافر بالله العظيم مكذب بالجنة والنار)[٤] .

المبحث الخامس

الفرق بين التناسخ والرجعة في ضوء كتب التفسير :

المعتقدون بالتناسخ يؤمنون بأنّ الإنسان يعود بعد الموت ثانية إلى هذه الحياة ، بعد أن تحل روحه في جسم آخر (ونطفة أخرى) ، ويحيا في هذه الدنيا حياة أخرى ، وقد تتكرر هذه العودة مرات ، وتكرر هذه الحياة يسمى بالتناسخ ، أو عودة الأرواح .

إذن ما هو الفارق بين القول بالرجعة وبين التناسخ مع العلم أنّ الرجعة استعملت أيضًا بمعنى عودة الروح إلى البدن الدنيوي مرّة أُخرى.

إنَّ مفهوم الرجعة لا علاقة له من بعيد ، أو من قريب بمسألة التناسخ ؛ وذلك لأنّ

(١) ينظر: محاضرات في الإلهيات، ٤٢٣ .
(٢) ينظر: المصدر نفسه، ٤٢٣ .
(٣) بحار الأنوار، المجلسي ، ٤ / ٣٢٠.
(٤) المصدر السابق ، ٤ / ٣٢٠.

محور التناسخ يقوم على أساس تعدّد الأبدان أوّلًا، وانحطاط النفس ورجوعها القهقري من مقامها الإنساني ثانيًا [١] .

وقد أشارت مصادر الامامية إلى رجوع مجموعة من الناس إلى الحياة الدنيا قبل يوم القيامة، وتعد ذلك من علامات قيام الساعة [٢] .

أنّ هذين المحذورين غير متوفّرين في مسألة إحياء الموتى؛ لأنّه في عملية الإحياء لا يوجد تعدّد للأبدان، ولا النفس تهبط من مقامها السامي إلى الدرجة الوضيعة، بل أنّ النفس تتعلّق وترجع إلى نفس بدنها السابق الذي تركته، ووفقًا لنظرية الرجعة يكون البدن واحدًا ، وكذلك النفس تعود إلى نفس بدنها الذي فارقته بسبب الموت، وتتعلّق به [٣] .

فأشار مفسرو الامامية بأنّ الرجعة برزخ بين عالم الدنيا وعالم الآخرة ، وليست من عالم الدنيا، وأنّ يوم الرجعة من مراتب يوم القيامة ، وإن كان دونه في الظهور، لا مكان الشر والفساد فيه في الجملة دون يوم القيامة [٤] .

قال مكارم الشيرازي فبعد ظهور المهدي ﷺ وبين يدي القيامة ، يعود إلى هذه الدنيا، طائفتين الأولى تصعد في مدارج الكمال وهم المؤمنين الخلص ، والطائفة الثانية تنال عقابها الشديد وهم الكفار الأشرار [٥] .

فهناك مواطن أخر في القرآن ، منها قصة أصحاب الكهف ، وهي قصة تشبه الرجعة، وقصة الأربعة من الطير التي أمر إبراهيم أن يذبحها فأتينه سعيا بعد ذبحهن وتفريقهن على رأس كل جبل جزءا منهن، ليتضح له إمكان المعاد للناس ويكون مجسدا برجوع هذه الطيور إلى الدنيا .

(١) بحار الأنوار الفكر الخالد بيان العقائد ، السبحاني، قم، مؤسسة الإمام الصادق ، ط ١، ١٤٢٥ هـ، ٢ / ٢٢٨.
(٢) بحار الأنوار، المجلسي،٥٣ / ١٤٢٣٩.
(٣) بحار الأنوار منشور جاويد، السبحاني، قم، مؤسسة الإمام الصادق ، ١٤١٦ هـ،٩ / ٢٠٦.
(٤) ينظر : الميزان ، محمد حسين الطباطبائي ، ٢ / ١٠٩.
(٥) ينظر : الامثل، ناصر مكارم الشيرازي، ١٢/ ١٤١.

وعلى أي حال كيف يمكن أن لا يؤمن الشخص بالقرآن وهو كتاب سماوي ، ثم ينكر هذه الآيات الواضحة في الرجعة ؟ وهل الرجعة إلّا العودة للحياة بعد الموت ؟ ، أو ليست الرجعة مثلًا مصغرًا من القيامة في هذه الدنيا، فمن يؤمن بالقيامة بمقياسها الواسع ، كيف يمكنه أن يعترض على مسألة الرجعة ، أو لا يعتقد بها وما ذكرناه من هذه الامثلة يثبت إمكانية الرجعة لا علاقة له بالتناسخ [1] .

الخاتمة:

بعد أن استكملت البحث بتوفيق من الله سبحانه وتعالى، الذي منَّ عليَّ بنعمته، ، أخلص إلى أبرز النتائج التي توصل اليها البحث وهي على النحو الاتي:

١- هنالك فرق كبير بين مفهوم التناسخ ، والحلول ، والرجعة.

٢- نجد جذور فكرة الحلول لدى النصارى الذين يقولون بأنّ الله تعالى حل في المسيح الإنسان ؛ ليتكون المسيح الإله من طبيعتين، وهي فكرة اتحاد اللاهوت والناسوت، أو حلول اللاهوت في الناسوت.

٣- أعلن مفسرو الأمامية البراء من هذه الفرق الضالة والمضلَّة التي تؤمن بتناسخ الارواح.

٤- إنَّ مفهوم الرجعة لا علاقة له من بعيد ، أو من قريب بمسألة التناسخ، وذلك لأنّ محور التناسخ يقوم على أساس تعدّد الأبدان.

٥- وجد الباحث أنّ المفسرين على اختلاف مذاهبهم يرفضون فكرة التناسخ بل يرفضونها رفضا قاطعا.

(١) ينظر: المصدر نفسه ،١٢/ ١٤١.

المصادر والمراجع

١. الإسلام والتناسخ ، حسين يوسف مكي العاملي، تحقيق، محمد كاظم مكي، بيروت، دار الزهراء، ط ١، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م.

٢. الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل ، جعفر السبحاني ، قم، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ط ٧، ١٤٣٠ هـ.

٣. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت لبنان ، د.ط، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.

٤. بحار الأنوار ، محمد باقر المجلسي ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.

٥. تفسير الصراط المستقيم، السيد حسين البروجردي، تح ، الشيخ غلام رضا بن علي أكبر مولانا ، مؤسسة أنصاريان، قم، ١٤١٦ - ١٩٩٥ م.

٦. تفسير الميزان ، السيد محمد حسين الطباطبائي، (ت،١٤٠٢هـ) ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٧. خطط الشام ، محمد كردي علي، دمشق سورية، مكتبة النور، ط ٢، د.ت.

٨. خلاصة علم الكلام ، الدكتور عبد الهادي الفضلي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ، ١٤٠٨هـ .

٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (ت، ١٣٤٢هـ) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٠. طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها ، سُليمان الحلبي ، الكويت، الدار السلفية، ط ٢، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤.

١١. الفرق بين الفرق ، القاهر بن ظاهر بن محمد البغدادي، القاهرة مصر، مطبعة المدني، د.ت.

١٢. الفكر الخالد في بيان العقائد ، جعفر السبحاني، قم، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ط ١، ١٤٢٥ هـ.

١٣. القصاص على ضوء القرآن والسنة، تقرير بحث السيد المرعشي لعادل العلوي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة – قم المقدسة، ١٤١٥.

١٤. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد (ت، ٧٢٦هـ) ، جمال الدين الحسن بن يوسف ابن علي بن المطهر المشتهر بالعلامة الحلي، تحقيق ، آية الله حسن زاده الآملي، مؤسسة نشر الإسلامي – قم .

١٥. لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، المحقق والمصحح، أحمد فارس صاحب الجوائب، بيروت، دار صادر، ط ٣، ١٤١٤ هـ.

١٦. مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي، قم، مؤسسة البعثة، ط ١، ١٤١٤ هـ.

١٧. مقتنيات الدرر، تحقيق، الشيخ محمد الآخوندي ، دار الكتب الإسلامية ، ايران.

١٨. الملل والنحل، للشهرستاني، (ت، ٥٤٨هـ) ، تحقيق ، محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – بيروت – لبنان.

١٩. منشور جاويد، جعفر السبحاني، قم، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ، ١٤١٦ هـ.